Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 25 (1), 2026
pp. 971–992

Evaluating and Improving the School Textbook in Light of Comprehensive Quality Standards

Dr. Ammar Souila [1]

[1] Senior Researcher A and Head of the Department for Developing Arabic Language Tools and Software, Language Sciences Research Unit, Algerian Academy of the Arabic Language, (Algeria), ammarsouila2@gmail.com

ABSTRACT:

The school textbook is considered the cornerstone of the teaching and learning process and a central tool in achieving educational goals and developing learners' competencies. In light of rapid knowledge growth, digital transformation, and the evolution of learning theories, it is no longer acceptable to rely on rigid curricula and textbooks that fail to keep pace with the demands of the modern era. Hence, the importance of textbook evaluation emerges as a systematic critical process aimed at diagnosing the reality of educational content, measuring its effectiveness, and identifying its strengths and weaknesses, in preparation for its improvement and development. Evaluation is not limited to judging the quality of paper or graphic design; rather, it extends to a deep analysis of the suitability of objectives, the accuracy of content, the diversity of learning strategies, the fairness of assessment, and the consideration of individual differences. Moreover, improving the school textbook is not a one-time task, but an ongoing process that depends on feedback from the educational field, data derived from learners' performance, and best scientific practices. This study aims to present a methodological framework for evaluating and improving the school textbook, based on comprehensive quality standards, taking into account local specificities, and remaining open to educational innovation, on the belief that investing in the quality of the school textbook is an investment in the quality of educational outcomes and in building a knowledge society.

Keywords: Evaluation of the school textbook; improvement; educational quality standards.

Received: 24 /06/2026 **Accepted:** 15 /07/2026 **Published:** 04 /09/2026

تقويم الكتاب المدرسي وتحسينه من خلال معايير الجودة الشاملة

د. عمار صويلة [1]

[1] أستاذ بحث –أ– مدير قسم البحث في تطوير أدوات وبرمجيات اللغة العربية –وحدة البحث في علوم اللسان–المجمع الجزائري للغة العربية، ammarsouila2@gmail.com

ملخص:

يُعد الكتاب المدرسي حجر الزاوية في العملية التعليمية التعلمية، وأداة محورية في تحقيق الأهداف التربوية وتنمية كفايات المتعلمين. وفي ظل التسارع المعرفي، والتحول الرقمي، وتطور نظريات التعلم، لم يعد مقبولاً اعتماد مناهج وكتب مدرسية جامدة لا تواكب متطلبات العصر. من هنا تبرز أهمية

تقويم الكتاب المدرسي بوصفها عملية منهجية نقدية تهدف إلى تشخيص واقع المحتوى التعليمي، وقياس مدى فاعليته، وكشف نقاط القوة والضعف فيه، تمهيداً لتحسينه وتطويره.

ولا يقتصر التقويم على الحكم على جودة الورق أو الإخراج الفني، بل يتعداه إلى تحليل عميق لملاءمة الأهداف، ودقة المحتوى، وتنوع استراتيجيات التعلم، وعدالة التقويم، ومراعاة الفروق الفردية. كما أن تحسين الكتاب المدرسي ليس يقع لمرة واحدة، بل هو عملية مستمرة تعتمد على التغذية الراجعة من الميدان التربوي، والبيانات المستمدة من أداء المتعلمين، وأفضل الممارسات العلمية.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم إطار منهجي لتقويم الكتاب المدرسي وتحسينه، يستند إلى معايير الجودة الشاملة، ويراعي الخصوصيات المحلية، وينفتح على الابتكار التربوي، إيماناً بأن الاستثمار في جودة الكتاب المدرسي هو استثمار في جودة المخرجات التعليمية، وفي بناء مجتمع المعرفة.

الكلمات المفتاحية: تقييم الكتاب المدرسي؛ تحسين؛ معايير الجودة التعليمية.

المقدمة:

يُشكل الكتاب المدرسي ركيزة أساسية في المنظومة التعليمية، وأداة استراتيجية في ترجمة الأهداف التربوية إلى ممارسات تعلمية ملموسة. فهو ليس مجرد وعاء للمعرفة، بل وسيط بيداغوجي يُفترض أن يُحفّز التفكير، وينمّي المهارات، ويُعزّز القيم، ويُعدّ المتعلمين لتحديات مجتمع المعرفة.

غير أن الواقع التربوي المعاصر يشهد تحولات متسارعة على مستويات متعددة: انفجار معرفي، وثورة رقمية، وتطور في نظريات التعلم، وتغيّر في توقعات سوق العمل، وبروز مفاهيم جديدة مثل التعلّم مدى الحياة والكفايات العابرة للتخصصات. وفي ظل هذه الديناميكيات، برزت تساؤلات جوهرية حول قدرة الكتب المدرسية التقليدية على مواكبة هذه المتطلبات الراهنة، وفعاليتها في تحقيق نواتج التعلم المنشودة.

ومن هنا، لم يعد مقبولاً اعتماد الكتب المدرسية بصفتها أدوات ثابتة لا تخضع للمراجعة النقدية، بل أصبح من الضروري تطوير آليات منهجية لتقويمها وتحسينها بشكل مستمر، استناداً إلى معايير علمية، وأدلة ميدانية، وأفضل الممارسات العالمية.

ورغم الأهمية المحورية للكتاب المدرسي في العملية التعليمية، نلاحظ فجوة واضحة بين المأمول من دوره التربوي والواقع الفعلي لكثير من الكتب المدرسية في العديد من الأنظمة التعليمية. وتتمحور الإشكالية البحثية حول التساؤل الرئيس التالي:

كيف يمكن بناء إطار منهجي فعّال لتقويم الكتاب المدرسي وتحسينه، يضمن مواءمته مع معايير الجودة التربوية، ويستجيب لمتطلبات التعلم في القرن الحادي والعشرين؟

وتتفرع من هذا التساؤل الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية:

ما المعايير التربوية والعلمية التي يجب أن يستند إليها تقويم الكتاب المدرسي؟

ما أبرز نقاط القوة والضعف في الكتب المدرسية الحالية وفق مؤشرات الجودة؟

ما الآليات والإجراءات المنهجية الكفيلة بتحسين الكتاب المدرسي بشكل مستمر؟
كيف يمكن توظيف التقنيات الرقمية والبيانات التعليمية في دعم عملية التقويم والتحسين؟
ما دور الأطراف المعنية (المعلمون، الطلاب، الخبراء، أولياء الأمور) في عملية التقويم التشاركي؟

إن تطوير إطار منهجي لتقويم الكتاب المدرسي، يستند إلى معايير جودة شاملة ويُفعّل عبر آليات تشاركية ورقمية، يُسهم بشكل فاعل في تحسين فاعليته التربوية، ويرفع من جودة مخرجات التعلم.

بهذا الإطار، تنطلق الدراسة لمعالجة إشكالية تقويم الكتاب المدرسي وتحسينه، أملا تقديم إضافة معرفية وعملية تُسهم في تطوير المنظومة التعليمية، وتحقيق رؤية تعليمية قائمة على الجودة والابتكار والمساءلة.

1- مدخل مفاهيمي:

إن تقويم الكتاب المدرسي عملية ضرورية تمليها اعتبارات ثلاثة، أولها :أن الكتاب المدرسي وسيلة تعليمية تعلمية هامة وهذه الوسيلة ينبغي أن تكون جيدة صالحة في يد المعلم والمتعلم: والتقويم وسيلة تعرفنا بهذه الجودة والصلاحية، كما أنه سبيل تنميتهما من بعد ذلك وثانيها أن عملية تأليف الكتب المدرسية عملية تنافسية في كثير من البلدان الآن– وذلك نتيجة تركها حرة في السوق أو خضوعها لقاعدة المسابقة بدلا من التكليف .وقد أدى هذا إلى وجود أكثر من كتاب واحد للعرض والطلب. وقد يقدر عدد الكتب المدرسية المعروضة في مادة واحدة لصف واحد في بعض البلاد بالعشرات ولذلك كان لابد من عملية تنقية وتصفية واختيار من بين هذه الكتب. والسبيل إلى ذلك هو عملية التقويم، أو جزء منها على الأقل .أما الاعتبار الثالث فهو أن العصر الذي نعيش فيه عصر تغير سريع، وعصر تقدم في العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية بصورة لم يسبق لها مثيل .والتغير التقدم يقتضيان على الدوام اعادة النظر في العملية التعليمية التعلمية بعناصرها المختلفة ومراجعتها وتعديلها .والكتاب المدرسي، كما نعلم، من أهم هذه العناصر، وعملية اعادة النظر والمراجعة والتعديل جزء أساس من التقويم، وإلى عهد قريب كانت الكتب المدرسية عملية منتهية بانتهاء تأليفها، وكان ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة للعصر الذي وجدت فيه، فمؤلف الكتاب حجة، وربما كان حجة وحيدة، لا يصح أن يخضع ما يكتبه لعملية تقويم.
ولئن كان في دراسة كتابه عيب أو مشقة، فالعيب عيب المتعلم، وعيب المدرس لا الكتاب ذاته، والمشقة لا بد أن يتحملها التلميذ ويتحملها المدرس، لا بد للمدرس والتلميذ من أن يرتفعا إلى مستوى الكتاب ويغيرا من أنفسهما ليتلاءما معه، حتى ولو لم يكن لذلك من سبيل سوى الحفظ والاستظهار الآلي. وربما يمضي على الكتاب سنوات وعقود، بل وقرون، وهو المقرر الثابت لأن تطور العلوم بطيء وتطور المجتمع بطيء كذلك والآن تغيرت النظرة الى المؤلف وإلى علمه مهما اتسع أو عمق، وتغيرت النظرة إلى الكتاب مهما جاد وصلح، وتغيرت النظرة إلى المدرس والتلميذ، وتغير المجتمع وتقدمت العلوم .فالمؤلف مهما

بلغ به العلم فالعلم واسع عميق ولا حدود لسعته وعمقه، وهو مهما بلغ من العلم لن يسلم من الخطأ، وحتى إذا سلم من الخطأ في مادته وتخصصه فلن يسلم من قصور في عرض هذه المادة وتكييفها بما يلائم التلاميذ. ثم إن المؤلف لم يعد الوحيد في الميدان، والكتاب المدرسي *بعد* هذا ليس كتاب المؤلف بعلمه في النهاية، وإنما هو كتاب المتعلم وكتاب المعلم ومن ثم وجب أن يكون للمتعلم والمعلم صوت في هذا الكتاب مهما جل شأن مؤلفه وأخيرا فان الكتاب *قد* يؤلف ويبذل فيه مؤلفه جهدا عظيما يحمده له خبراء الكتاب ويرضى عنه المعلم ويقبل عليه المتعلم ثم لا تلبث أن تغير الكشوف العلمية الحديثة بعض حقائقه، أو تستلزم تغيرات المجتمع وتطوراته في اتجاهات معينة تغييره جزئيا أو كليا ومن أجل هذا كان لا بد من وضعه تحت الخبرة والمراجعة على الدوام .وهذا هو التقويم، وإذا سلمنا، على هذا النحو، بأن اختيار الكتاب المدرسي وتقويمه من حق كل من يهمهم أمر هذا الكتاب، وجب أن ننظر في كنه هذا الحق وحقيقة محتواه ، والشروط الواجب توافرها فيه ، والأساليب المتبعة فى تحقيقه والأدوات اللازمة له ، والتحفظات الممكنة عليه ،و أن التسليم قد يتم بأهمية مبدأ من المبادئ ، أو بضرورة اجراء من ، الاجراءات ويصبح الأخذ به حقيقة واقعة لكن إساءة فهمه وتفسيره أو إساءة استخدامه وتطبيقه يضيعان عليه أهميته وضرورته اللتين سلم بهما ونتيجة لذلك سرعان ما يتحول المبدأ أو الاجراء ، على النقيض مما يرجى منه ، عقبة في تحسين العملية التعليمية ، أو أداة غير فعالة فيها مما يرجى على الاقل وهذا القول يصدق على مبدأ تقويم الكتاب المدرسي. فالعبرة ليست بالأخذ بالتقويم في حد ذاته وإنما العبرة بأن يكون هذا التقويم قائما على أسس سليمة ويخضع لإجراءات سليمة وبدون هذا لا يمكن أن يتحقق شرط الجودة في الكتاب المدرسي، وفي ضوء *هذه* الأهمية للتقويم وأساليبه سوف نحاول في هذا الفصل الاجابة على الأسئلة الآتية:

-كيف يتم تقويم الكتاب المدرسي عندنا؟

-ما العوامل المحددة لجودة الكتاب المدرسي؟

- ماذا ينبغي أن يتوافر في عملية تقويم الكتاب المدرسي، ليتحقق له أحسن مستوى من الجودة؟

وهذا السؤال الأخير يمكن تجزئته إلى الأسئلة الآتية:

- ما العمليات المتضمنة في تقويم الكتاب المدرسي، وما حدودها؟
- ما معايير الحكم على الكتاب المدرسي؟ وما حدود هذه المعايير من الناحية العلمية والموضوعية؟
- ما الجوانب أو المجالات التي ينبغي أن يقوم الكتاب المدرسي في حدودها؟ وما عناصر كل جانب؟ وما الأوزان التي يمكن أن تعطى لكل منها في التقويم؟

هذا هو مجمل خبرتنا في تقديم الكتاب المدرسي واختياره، كما وقعت، وكما هي واقعة بالفعل في بلادنا .فلننظر في العوامل المحددة لجودة الكتاب، ثم فيما ينبغي أن تكون عليه عملية التقويم ففي ضوء التطورات الحاصلة في الفكر والتطبيق التربوي الحديث القائم على أسس علمية وفلسفية، حتى يسهل علينا من بعد ذلك أن نقيس خبرتنا الواقعة على ما ينبغي أن يكون بشأن تقويم الكتاب المدرسي وتحسينه

2- العوامل المحددة لجودة الكتاب المدرسي:

تقويم الكتاب المدرسي معناه الحكم على جودته والعمل على تحسينها إذا لزم، ولذلك فان التعرف على عوامل جودة الكتاب شرط أساسي لتقويم الكتاب وسنرى عند معالجتنا لعملية تقويم الكتاب .المدرسي أن معايير الحكم على الكتاب المدرسي إما مشتقة من كثير من هذه العوامل أو ذات صلة وثيقة بها ويمكن حصر العوامل المحددة لجودة الكتاب المدرسي فيما يلي:

* مستوى المؤلف
* توافر المراجع والمصادر التي يستمد منها الكتاب مادته
* الجو العلمي والأبحاث التربوية
* نوع منهج المدرسة التي يعد لها الكتاب والفلسفة التعليمية التي توجهه
* تمويل الكتاب المدرسي
* امكانات طبع الكتاب المدرسي واخراجه الفني.
* العمليات الادارية المتصلة بالكتاب المدرسي من اعداده إلى توزيعه ووصوله إلى المتعلمين
* ظروف المدرسة التي يستخدم فيها الكتاب المدرسي وفيما يلي عرض لهذه العوامل:

المؤلف بوصفه عامل في جودة الكتاب المدرسي:

الواقع أن قيمة الكتاب تكمن أساسا في قدرة مؤلفه أو مجموعة مؤلفيه على كتابته وتأليفه و قديما ، كان مجرد الإلمام بالمادة ومعرفة مصادر الحصول عليها، والقدرة على التعبير عنها في مكتوب وفق الترتيب المنطقي كافية لتأهيل الفرد لتأليف كتاب من الكتب في هذه المادة. والاكتفاء بهذا الشرط في تأليف الكتاب كان أمرا متماشيا مع ظروف المجتمع وأوضاعه، فالعلم كان يطلب لذاته أكثر من طالبه كأداة لمعالجة شئون الحياة عن طريق التطبيق، وكان نهائيا لا يسلم فيه بضرورة التجديد والقابلية للتعديل والتغيير والنمو. هذا فضلا عن أن الغاية من التعليم كانت مجرد المحافظة على التراث الثقافي لا تطويره ولا تجديده.

والآن تغيرت ظروف المجتمع وأحواله، وتغيرت معها وجهات النظر في التربية؛ فالعلم للجميع، وهو مطلوب لأهميته في الحياة الحديثة. وهو متجدد نام متغير نتيجة اتباع الاسلوب العلمي فى البحث والتطبيق في الحياة والتطورات الحاصلة في المجتمع، والتراث الثقافي على أهميته وعمقه واتساعه يتضاءل أمام الكشوف العلمية الحديثة والحوادث الراهنة، والفرد المتعلم أصبح ينظر إليه أولا على أنه حامل الثقافة ثم أنه مشارك في تطويرها، وعليه يتوقف مستقبل الثقافة.

من أجل هذا أصبح من الضروري أن يجمع مؤلف الكتاب، إلى جانب الالمام بالمادة وسعة الاطلاع ويسر التعبير، فهما للمجتمع واتجاهاته ليضفي على هذه المادة توجيها اجتماعيا نفعيا، ونظرة تربوية سليمة حديثة تعطى الكتاب صفة وظيفية في تكوين المواطنين، ومعرفة بخصائص نمو المتعلم في المرحلة التي يؤلف لها، ووعيا بقوانين التعلم الصحيحة، فضلا عن خبراته الفعلية بوصفه معلم في الميدان، كل هذا ليكون الكتاب أداة فعالة يستجيب لها المتعلم أحسن استجابة.

ولما كانت هذه الشروط جميعا من التخصص في المادة، والالمام بالتربية وأسسها الاجتماعية والفلسفية والسيكولوجية، والخبرة المباشرة أو التجريب الفعلي في الميدان يندر أن تتوافر الآن في فرد واحد في عصر التخصص، أصبح من المستحسن أن يكون التأليف المدرسي عملا جماعيا تعاونيا لعدد من الأفراد ممن تكتمل وتتساند فيهم هذه المواصفات. وأصبح لزاما على المختص في المادة التي يعالجها الكتاب أن يعمل مع الاخصائي في التربية والمشتغل بالعمل في ميدان التدريس أو من هو على اتصال مباشر بالصف أو المرحلة التي يدرس فيها الكتاب كأن يكون معلما أو ناظرا أو مفتشا.

لكن ليس يكفي أن يحمل الكتاب اسم متخصصين لامعين في المادة والطريقة أو المشتغلين بالتدريس، ليكون الكتاب جيدا. انما لا بد من أن تنعكس كفاية هؤلاء المختصين وتجاربهم على ما يكتبون ويؤلفون فيه ليكون الكتاب محققا لشرط أساسي من شروط الجودة" لقد ساعدت التقنيات الحديثة على تحديث عملية التعلم، فأثرت في الأهداف والمنهاج تأثيرا واضحا، وأدت إلى تغيير جذري في نوعية المقررات وأسلوب الكتب وتنظيم الصفوف وتجمعات المتعلمين ودور المعلم" (سنقر، 2000، صفحة 64) وعند تحليل الكتاب وتقديره يجب إقامة وزن للاعتبارات الآتية:

– تحديد المؤلفين لوجهة نظرهم التربوية في مقدمة الكتاب.

– تحديد المؤلفين لقوانين التعلم الحديثة التي استهدوها في تأليف الكتاب.

– تحديد المؤلفين لخصائص نمو المتعلم ومطالبه على المستوى الذي ألف له الكتاب

– اشارة المؤلفين إلى خبراتهم وتجاربهم المتعلقة بميدان استخدام الكتاب

– مدى انعكاس وجهة نظر المؤلفين التربوية ووعيهم التعليم وخصائص نمو المتعلمين وخبراتهم الميدانية أو تجاربهم على محتوى الكتاب مادة وطريقة.

والواقع أن المؤلفين الأكفاء هم الذين يقدرون في كتابتهم على الوفاء بهذه الاعتبارات إلى الحد الذي يجعل القارئ يستدل على أسمائهم من المكتوب بمثل ما يستدل على المكتوب من أسمائهم ثم إن المؤلفين الأكفاء حقا هم الذين يصلون في كتابتهم إلى المستوى الذي يجعل من أنفسهم مقومين لعملهم بالفعل وفق الاعتبارات السابقة. وهذا المستوى لا يصل إليه المؤلف في العادة إلا بعد طول المران

والخبرة الذكية والعمل الجماعي الفعال من أحسن الفرص التي تتاح للمؤلف يصل بكتابته إلى هذا المستوى الرفيع من التقويم الذاتي.

من أجل هذا وجب على السلطات التعليمية المعنية بتحسين الكتاب المدرسي أن تعمل على توفير مثل هذه الكفايات وتشجيعها، وأن توفر لها الامكانات التي تساعدها على اظهار كفايتها، وتعبئتهم بشتى الوسائل المجدية لتأليف الكتب في المواد والمراحل المختلفة، وأن يكون المعيار الأسمى لتلك السلطات في كل اجراء أو تنظيم تتخذه في هذا الشأن هو: هل هذا الاجراء أو التنظيم يضع تحت أيدينا كتاباً مدرسيا تحققت له الكفاية في التأليف –كما سبق تحديدها؟

2– توافر المصادر والمراجع كعامل في جودة الكتاب المدرسي:

يقاس الكتاب المدرسي أساسا بقيمة محتواه " الكتاب المدرسي كتاب عرضت فيه بطريقة منظمة المادة المختارة في موضوع معين، وقد وضعت ، في نصوص مكتوبة بحيث ترضى موقفا بعينه في عمليات التعليم والتعلم" (عمر، 2005، صفحة 9) وهذا المحتوى وليد المصادر والمراجع سواء منها ما يتصل بالمادة أو ما يتصل بالنظرية التربوية والطريقة وبقدر ما يكون توافر هذه المراجع والمصادر .كما وكيفا ، وبقدر ما يتيسر للمؤلفين الرجوع إليها ويتسع لهم الوقت للاطلاع عليها، تكون جودة محتوى الكتب المدرسية على الأقل من حيث الدقة والوفرة والحداثة وأسلوب العرض ، ومعروف أن المصادر والمراجع المتصلة بالمواد والعلوم المختلفة تتفاوت في كميتها وجودتها من مادة إلى مادة، و من موضوع إلى موضوع داخل المادة الواحدة، وكلها اعتبارات ينبغي مراعاتها عند تقدير الكتب المدرسية واختيارها فكتاب في مادة التربية المدنية التي تعز فيها المراجع والمصادر الوافية الشافية لا يصح أن يوزن بنفس الحساسية التي يوزن بها كتاب في التاريخ حيث تتوافر مراجعه ومصادره.

3– الجو العلمي كعامل في جودة الكتاب المدرسي:

يتشكل الجو العلمي من عناصر كثيرة مادية وبشرية، منها: توافر الأموال التي ترصد للأبحاث العلمية، ووجود دور العلم والمؤسسات التي تعكف على البحث، وتوافر المطبوعات والدوريات التي توقف الباحثين أولا بأول على آخر تطورات العلم والمعرفة، والتزام الموضوعية، وتشجيع العلماء.

والحاجة ماسة إلى بحوث مساعدة لتأليف الكتب المدرسية، على نحو تكييف الموضوعات في ضوء الأهداف الوطنية والاجتماعية، والألفاظ اللغوية المناسبة لكل سن، وحجم الحروف الملائمة لكل صف، وأنواع وسائل الايضاح وأهميتها النسبية، والموضوعات التي يميل متعلمو كل سن إلى القراءة فيها، ومدى انتباه المتعلمين في كل صف مما يحدد درجة الاختصار أو الاسهاب المطلوب في كل حالة" أن يكون مناسبا لدرجة ثقافة الصف الذي خصص له: لأنه إذا كان أعلى من مستوى التلاميذ فإن هؤلاء يجدون صعوبة في فهمه وينفرون منه. وإذا كان دون مستواهم فإنهم يفهمون دروسه بسهولة ويحتقرونه" (عوض، 2008، صفحة 45) مثل هذه البحوث تخلق الجو العلمي الذي يعين على تأليف الكتاب المدرسي الجيد.

– نوع منهج المدرسة والفلسفة التي توجهه بوصفها عامل في جودة الكتاب المدرسي:

وتأليف الكتاب المدرسي يسبقه بالضرورة صياغة المقرر، وهو يخضع له ويتمشى مع عناصره. ويشترط على المؤلفين في المادة التزام المقرر التزاما صارما، ويحاسبون على كل زيادة أو نقصان أو تبديل فيه، حتى إن بعض مقرري المواد يعتبرون أي خروج من الكتاب على عناصر المقرر مبررا كافيا لرفضه، لهذا كان لا بد للكتاب المدرسي أن يتأثر بطبيعة المنهج ومحتواه وتنظيمه وقصده. فالمنهج إذا كان مفككا في كثير من عناصره، أو كان مجرد معلومات خامدة قصد بها حشو ذهن المتعلم خرج الكتاب المؤلف عليه حاملا آثار هذا التفكك والحشو. أما إذا كانت موضوعات المنهج متناسقة أو في صورة وحدات متكاملة قصد منها واضعوها ربط العلم بالعمل، وجعل المعارف وثيقة الصلة بالحياة ومشكلاتها، وتنمية بعض الاتجاهات والعادات والمفاهيم والقيم في المتعلمين إلى جانب تزويدهم بالمعلومات والحقائق، انعكس ذلك بدوره على الكتاب وجب أن ينعكس، لهذا ينبغي مراجعة المناهج الدراسية والمقررات والأسس التي تقوم مراجعة علمية كشرط أساسي لتحقيق جودة الكتاب .كما ينبغي إعطاء المؤلفين القدر الكافي من الحرية في معالجة موضوعات المنهج وإعادة تنظيم عناصره.

3– المال عامل في جودة الكتاب المدرسي:

العلاقة بين جودة الكتاب المدرسي وبين ما ينفق عليه على أسس سليمة بالطبع من المسلمات التي لا تحتاج إلى شرح طويل فالمكافأة المالية المجزية لمؤلف الكتاب، ورصد الأموال لإجراء التجارب العلمية عليه والتأكد من مناسبته، ثم الاتفاق السخي على طبعه واخراجه في صورة شائقة جذابة على ورق جيد متين، كل هذا يؤثر تأثيرا ايجابيا ولا شك في جودة الكتاب المدرسي. وهذا الأخير له حقه من الجودة ومن المال ولكن ليس بأسلوب تجارى وإنما يرتكز على بحث تربوي علمي يحدد مواصفات الكتاب الجيد والشروط التي ينبغي أن تتوافر فيه.

4– إمكانيات الاخراج الطباعي كعامل في جودة الكتاب المدرسي :

جودة الكتاب المدرسي ذات جانبين يكمل أحدهما الآخر: جانب يتمثل في الاعداد والتأليف، وآخر يتمثل في الطباعة والاخراج. وقد بعد الكتاب اعدادا جيدا ويتم تأليفه على مستوى رفيع من حيث المادة والتنظيم والصور والخرائط والرسوم، ثم يخرج للطباعة فتفسد كثيرا من مزاياه بحروفها الرديئة وصفحاتها المزدحمة بالسطور، إلى غير ذلك من الأمور المتصلة بفن الاخراج الطباعي وطباعة الكتب المدرسية وإخراجها فن قائم بذاته نظرا لارتباطها بأسس تربوية ونفسية و ما أحوجنا إلى من يتخصص في هذا الفن ويقوم بدراسات في هذا الميدان.

5– العمليات الادارية المتصلة بالكتاب المدرسي كعامل في جودته:

هذا العامل يكاد يكون مجهولا أو مغفلا عند بحث أحوال الكتاب المدرسي على الرغم من أهميته في تقرير مصيره. ينشأ فكرة في رأس المؤلف، فيخرج مخطوطا لينتقل إلى أيدي الفاحصين فتقرره السلطات، ثم يدخل للمطبعة ويخرج منها لينتقل بين عدد من المخازن حتى يستقر في النهاية في يد التلميذ والمدرس، يمر بعمليات ادارية كثيرة .فبمجرد صدور اعلان من سلطة تعليمية بتأليف كتاب وتحديد مدى زمني قصير لتقديمه عمل يضر بجودة الكتاب ، و تشكيل لجان لفحص الكتب دون مراعاة شروط علمية أو حكمية في اختيارها ، ودون تزويدها بأدوات للفحص الشامل العادل ، قد يضيع على كتاب ممتاز فرصته ، و اتباع نظام المناقصات في طبع الكتب حتى يرسو العطاء على من يعرض أبخس الأثمان اجراء ضار بقضية الكتب ، و مرور الكتاب المدرسي بعد اخراجه الطباعي بعدة عمليات ادارية روتينية يترتب عليها سوء التوزيع وضياع جزء من وقت المدرس والتلميذ يضعف قيمة الكتاب المدرسي ، لأن المعيار الأسمى لجودة الكتاب هو حسن استخدامه من حيث الزمان و المكان و الكيفية ، بواسطة هذا التلميذ و ذلك المدرس و من أجل هذا وجب أن تراجع السلطات التعليمية دوما الاجراءات و العمليات و التنظيمات الادارية المتصلة بالكتاب المدرسي كشرط لضمان جودته .

6 – ظروف المدرسة التي يستخدم فيها الكتاب عامل في جودته:

الكتاب المدرسي، على المستوى الاجرائي، عنصر من عناصر الموقف التعليمي يتأثر بها مثلما يؤثر فيها. فاذا كانت هذه العناصر جيدة زادت جودة الكتاب، أما إذا كانت رديئة أو ضعيفة أثر ذلك في الكتاب واستخدامه تأثيرا سيئا فحجرة الدراسة الضيقة، والتهوية السيئة، والضوء الضعيف والمقاعد البالية يؤثر في عملية استخدام الكتاب على نحو قد يحيله في بعض الأحوال إلى أداة ضارة بالتلاميذ وضعف التلميذ في القدرة على القراءة يقلل من درجة الانتفاع بالكتاب المدرسي كأداة للتعليم وكمصدر للمعلومات. والمدرس الذي يكون بعيدا عن فكرة الكتاب وفلسفته والذي لم يعد الاعداد الكافي أو يحصل على التدريب المناسب لاستخدامه، يحيل هذا الكتاب أداة غير فعالة حتى ولو كان هذا الكتاب مما شهد له فاحصوه بامتيازه تأليفا واخراجا.

هذه هي العوامل المحددة لجودة الكتاب، وكلها تدخل ولا شك في تقويمه، ربما بدرجات متفاوتة من الأهمية، ومن ثم يجب أن يقام لكل منها وزن عند اختيار الكتاب المدرسي، ومع ذلك فإننا نجد في كثير من الحالات أن الفاحصين لا يراعونها جميعا، وإنما يقيمون حكمهم على الكتاب في ضوء عامل واحد منها أو أكثر .مثال ذلك، أن شخصية مؤلف الكتاب أو مؤلفيه ومؤهلاتهم، سيطرت على تفكير بعض الناس عند اختيار كتاب من الكتب المدرسية. وارتفاع ثمن الكتاب اتخذه بعض المشتغلين بالتعليم دليلا على جودته، في حين اتخذ البعض الآخر انخفاض ثمنه أساسا لاختياره واقتنائه. والاخراج الطباعي للكتاب المدرسي يتسلط أحيانا على فاحصي الكتب.

إن الاقتصار على معيار واحد أو عدد قليل من العوامل للحكم على الكتاب المدرسي يؤدى عادة إلى سوء الاختيار، مهما كانت أهمية ذلك المعامل الواحد والعدد القليل من العوامل.

7- الكيفية التي ينبغي أن يتم بها اختيار الكتاب

تتضمن الكيفية التي يتم بها اختيار الكتاب المدرسي عمليتين أساسيتين هما:

- تحليل الكتاب
- تقديره وموازنته بغيره من الكتب

1.7. تحليل الكتاب المدرسي:

المقصود بالتحليل عملية وصف الكتاب وصفا علميا موضوعيا، بقصد الوقوف على الحقائق المتعلقة به، دون أن يقترن هذا الوصف الأمين بأحكام أو تقديرات للكتاب. والتحليل، على هذه الصورة، متميز عن التقدير الذي هو عملية النظر إلى الوقائع والحقائق التي أسفر عنها التحليل نظرة فلسفية وفق مجموعة من القيم والمعايير المحددة علنا، أو المتضمنة في عقل المقدر.

يخضع الفكر التربوي الحديث عملية تحليل الكتاب المدرسي لتنظيم شامل محكم يضمن تناول كل جانب من جوانب الكتاب بالبحث والفحص والكشف، وينصب على الشكل والجوهر فيه على السواء، ويعطى صورة كلية متميزة الأجزاء عنه في آن واحد، وييسر من بعد ذلك مقارنته بغيره من الكتب المدرسية تمهيدا للحكم عليه واختياره ومن أجل هذا ابتدع بعض الباحثين ما يمكن تسميته دليل تحليل الكتاب المدرسي.

وهو أداة في صورة كراسة، موزعة صفحاتها بين عدد من الأقسام أو المجالات التي يمثل كل منها جانبا من جوانب الكتاب ويتضمن كل قسم عناصر محددة يسير على هديها الفاحص عند قراءة الكتاب، ويجمع المعلومات اللازمة ليسجلها فيها أو في أوراق ملحقة بها وكلما كان هذا الدليل محكما جامعا مانعا، مستوفيا النقاط التي تشمل جميع جوانب الكتاب كان التحليل أكثر دقة لهذا كان من المفضل أن يشترك في اعداده عدد من خبراء الكتب والعاملين بها في الميدان .فمثل هذا الاشتراك لا يؤدى فقط إلى حصر أكبر عدد نقاط الفحص، بل كذلك إلى تأكيد الأهم فالمهم منها.

أما القسم المناسب بمحتوى الكتاب فيتناول:

أ- المادة المكتوبة، وتنظيمها، وطريقة عرضها، ومستواها، ودقتها.

ب- وسائل الايضاح الواردة في الكتاب من صور، ورسوم، وجداول، وخرائط، وأشكال، وغيرها.

ج- طريقة التدريس التي يوصي الكتاب أو يوحي باتباعها وقال لعرضه.

و من العناصر التفصيلية التي يمكن أن تندرج تحت هذا القسم : حجم الكتاب مقدرا بعدد الصفحات ، وعدد صفحات كل فصل فيه ، ونواحي الاسهاب والاختصار في الكتاب ، والموضوعات

التي أولاها المؤلف جزءا كبيرا من اهتمامه ، وتنظيم مادة الكتاب (الترتيب المنطقي إلى موضوعات وفصول – الوحدات – المشكلات) ، والترابط بين موضوعات الكتاب عند عرضها ، والتداخل و التكرار أو الفجوات فيها ، وطبيعة مادة الكتاب من حيث تجريدها أو ربطها بخبرات التلاميذ وحياتهم ، و من حيث دقة المعلومات والحقائق وحداثتها ، وعبارات الكتاب من حيث الوضوح وسهوله الكلمات و التركيب ، وتحرير مادة الكتاب من حيث سلامة النحو والاملاء وتنظيم الفقرات وعلامات التنقيط .. الخ، واتجاه الكتاب إلى حشو دهن التلميذ بالحقائق والتفاصيل أو إلى ابراز بعض المفاهيم والمبادئ، العامة، والقيم والاتجاهات التي يحاول الكتاب تنميتها في التلاميذ، والربط بين مادة الكتاب والمواد الدراسية الأخرى في نفس. الصف وطبيعة هذا الربط واتصال مادة الكتاب بالكتب السابقة واللاحقة له في نفس الدراسة، والقيمة الاجتماعية النفعية لمادة الكتاب، والتكييف السيكلوجي لمحتوى الكتاب، وطريقة عرض مادة الكتاب من حيث تشجيعها للحفظ والاستظهار أو التفكير والفهم والمناقشة، وطريقة التدريس التي يوحى الكتاب أو يوصى باستخدامها، ووسائل الايضاح التي وردت في الكتاب من حيث عددها، وتنوعها، ووضعها، ووضوحها ودقتها، واتصالها بالمتن، ومراعاة الكتاب لعناصر المنهج واتجاهه نحو تحسينه.

وأما القسم الخاص باستخدام الكتاب فيستوفي الفاحص فيه بيانات عن: قوائم المحتويات والجداول والصور والخرائط والرسوم المتضمنة في صدر الكتاب، والملخصات الواردة في آخر كل فصل أو وحدة منه، والأسئلة والتمرينات وألوان النشاط التي يوصى التلاميذ بها، والمشكلات أو المسائل التي يحاول اثارتها في عقول التلاميذ تمهيدا لحلها، وقائمة أو قوائم المراجع والقراءات الاضافية التي ينصح التلميذ بالاطلاع عليها، والكشاف ومعجم الكلمات الصعبة والملاحق الواردة في آخر الكتاب، هذا فضلا عن دليل المعلم.

ومن الواضح أن هذه المعينات تتفاوت في قيمتها وأهميتها عند كثير من القراء العاديين والتلاميذ والمشتغلين بالتعليم أنفسهم. وربما كان أكثرها قبولا وأهمية لهؤلاء جميعا الأسئلة والتمرينات والملخصات وقوائم المراجع والمشكلات ودليل المعلم. أما قوائم المحتويات والصور والخرائط والرسوم وأما الكشاف والملاحق فهذه أشياء تبدو في نظر الكثيرين قليلة القيمة، وهو عكس ما ينبغي أن يكون. إذ الواقع أن مثل لهذه المعينات عظيم القيمة في تيسير استخدام الكتاب، الأمر الذي يوجب العناية بها، ووضعها موضع الاعتبار في تحليل الكتاب خصوصا في الصفوف الدراسية العليا. ويعزز هذه القيمة أننا في عصر السرعة، وتقدم فن التحرير والطباعة، وعظم انتشار الكتاب وتداوله وتعدد موضوعاته، حتى أصبح لزاما على المعلم أن يدرب تلاميذه على استخدام مثل هذه المعينات ليكونوا أقدر على مواجهة مطالب العصر في القراءة والاطلاع.

وأما القسم الخاص بشكل الكتاب واخراجه الطباعي فيأتي تحته عناصر مثل: حجم الكتاب وقطعه،

وتصميم الغلاف وشكله ولونه ونوعه، ونوع ورق الكتاب ووزنه ولونه، وحجم بنط الكتاب ورسمه ووضوحه، وتشكيل الكلمات، وطول السطر والمسافة بين الكلمات والمسافة بين السطور، وعرض الهوامش، واتساق العناوين، ووضع الصور والخرائط والرسوم، والقص والتدبيس والتجليد.

غير أن وجود دليل تحليل الكتاب المدرسي الدقيق المفصل ليس وحده ضمانا للوصول إلى نتيجة موضوعية، فالي جانب هذا الدليل ينبغي أن يتوافر فيمن يستخدمه شروط الكفاية العلمية والتربوية والخلقية، وبدون توافر هذه الشروط يصبح الدليل أداة لسوء لتحليل بدلا من أن يكون عونا على صلاحه ودقته. ذلك أن الدليل يحوي من العناصر ما يغري بعض المغرضين أو محدودي الكفاية العلمية والتربوية على اساءة فهمها أو استخدامها، فرب فاحص غير نزيه يتصيد في كتاب عددا من الأخطاء التي وقع فيها الكاتب سهوا، فيدرجها تحت عنصر دقة مادة الكتاب دليلا على عدم الدقة، ومثل هذا يحدث من فاحص متخلف في مادته. ورب فاحص آخر متزمت أو ضيق الأفق لا يعجبه التقديم والتأخير الذي أدخله المؤلف على بعض عناصر المنهج أو التفصيل في بعض الموضوعات الهامة نتيجة تطورات مستجدة على المجتمع فيصف الكتاب تحت عنصر مسايرة الكتاب للمنهج بعدم التزام عناصره وترتيبها. ورب فاحص ثالث يقرأ وجهة نظر المؤلف في مقدمة الكتاب أو يستشفها من ثنايا مادته وعرضها فلا يستسيغها لأنه ملم بالتطورات الحديثة في الفكر التربوي والنظريات التربوية الحديثة.

من أجل هذا وجب على كل من يفحص كتابا مدرسيا بقصد التحليل أو التقدير من بعد ذلك، أن يكون من المتخصصين في مادة الكتاب، وعلى المام كاف بها وبتطوراتها والجديد فيها، وأن يكون على وعي بالأسس الاجتماعية والفلسفية والسيكولوجية والعلمية التي ينبغي أن يقوم عليها الكتاب المدرسي في هذا العصر في مجتمع بعينه هو المجتمع العربي بالنسبة. لنا، وأن يكون قادرا على ترجمة هذه الأسس إلى جزئياتها الصغيرة التي يستطيع أن يراها رؤية صادقة في الكتاب، وأن يكون قبل هذا وبعد هذا أمينا نزيها يرعي الموضوعية في وصف الكتاب وتحليله.

مما يمكن استنتاجه أن مستخدم دليل تحليل الكتاب المدرسي ينبغي أن يكون متخصصا في مادة الكتاب، متخصصا في التربية نظرا وتطبيقا، وأن يكون مستواه في المادة وأصول التربية النظرية والتطبيقية لا يقل عن مستوى المؤلف، بل يزيد عليه. هذا فضلا عن توافر النزاهة والأمانة العلمية فيه. وضمانا لتوافر هذه الشروط جميعا، وضمانا لإحكام التحليل والاطمئنان إلى نتائجه ينبغي أن يعهد بدليل التحليل لعدد من الأفراد بدلا من فرد واحد حتى ولو توفرت فيه كل الشروط السابقة.

8- تقدير الكتاب المدرسي وموازنته بغيره:

وكما سار تحليل الكتاب المدرسي في طريق علمي موضوعي، سار تقديره والحكم عليه أو هكذا وجب أن يسير. وأصبح معترفا به في الأوساط التربوية العليمة أنه لابد من أن يتوافر لتقدير الكتاب والحكم عليه أربعة شروط ليكون سليما عادلا. وهذه الشروط هي:

- أن يكون التقدير وفق معايير مستمدة من الأسس الاجتماعية والفلسفية والسيكولوجية والعلمية التي يقوم عليها الكتاب المدرسي الجيد، والتي يشرعها فقهاء التربية.

- أن يقوم التقدير على بيانات صحيحة شاملة لجوانب الكتاب ومجالات تحليله، على أن تعطى أوزان لكل جانب من هذه الجوانب وفق أهميته في جودة الكتاب.

- أن تتوافر أداة أو أدوات تترجم هذه المعايير والجوانب والأوزان إلى مقياس للتقدير يتجه إلى الموضوعية

- أن يتولى تطبيق هذا المقياس أفراد يتوافر فيهم كما وكيفا شروط الكفاية.

9- معايير تقدير الكتاب المدرسي:

لسنا هنا بصدد الحديث عن الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها الكتاب المدرسي فقد بينا ذلك في الفصل السابق، كل ما يهمنا هنا أن التعرف منها على أهم المعايير التي يمكن بمقتضاها الحكم على الكتاب المدرسي، وهذه يمكن تلخيصها في العبارات الآتية:

- الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يسترشد بوجهة نظر تربوية حديثة تتماشى مع طبيعة العصر الذي يوجد فيه مثل وحدة الخبرة أو تكامل المعرفة، التلميذ نقطة البداية في العملية التعليمية، مراعاة شرط النضج في التعليم، النظرة المتكاملة إلى الطفل ونموه، التعلم عن طريق العمل، التفكير والذكاء من صنع البيئة أكثر من أن يكون وراثيا، ربط التعليم بالحياة، العلاقة التكافلية بين المدرسة والبيئة.

- الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يخدم الاتجاهات المرغوب فيها في المجتمع الذي يوجد فيه، فيحرص على أن ينمي في التلاميذ الصفات اللازمة لجعل هذه الاتجاهات حية نامية فيهم مثل تنمية التعاون الديمقراطي، وحب الوطن والولاء له، وتحمل المسئولية، والاعتماد على النفس، والايجابية في الحياة، واحترام العمل اليدوي، وتطبيق العلم على العمل، وتنمية طريقة التفكير العلمي، والتدرب على المناقشة المثمرة، وسعة الأفق، والقدرة على القراءة السريعة، والرغبة في الاطلاع المستمر.

- الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يزود التلاميذ بالمهارات والمفاهيم والمعلومات الأساسية للمادة على مستوى الصف الذي ألف له، بحيث تكون هذه المهارات والمفاهيم والمعلومات مع غيرها مما يتعلمونه في كتب المرحلة التي يوجدون فيها أساسا عاما لا غنى عنه للمواطن المستنير في بيئته المحلية وفي وطنه وفي العالم الذي يعيش فيه.

- الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يتماشى مع المنهج الذي تقرره السلطات التعليمية على اعتبار

أن هذا المنهج يمثل ارادة المجتمع العربي في وجود قدر مشترك من المعارف والعادات والاتجاهات والمهارات بين أبنائه وفي توجيه المنهج لخدمة أغراضه في المرحلة التي نعيش فيها.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يكون في نظريته ومادته وتنظيمه وطريقة عرضه محاولة لتحسين المنهج كما حددته السلطات التعليمية.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يخدم على بصيرة أهداف المرحلة التي يوجد فيها ويسهم جديا في تحقيق أهداف المادة التي وضع من أجلها.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يحرص على جعل نظرياته ومعلوماته وثيقة الصلة بالحياة مفسرة لظواهرها ونظمها، قابلة للتطبيق فيها أي ذات قيمة نفعية اجتماعية.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يحرص على أن يربط مادته بالمواد الدراسية الأخرى على اعتبار أن المعارف والمهارات متصلة في أساسها.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يحرص على أن تكون معلوماته وبياناته دقيقة حديثة على اعتبار أنها جزء من التراث الإنساني في عصر التقدم والتغير

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يعبر عن نفسه بأكثر من أسلوب دقيق مما ابتكره العلم الحديث ويسهل به على القراء استيعابه وفهمه فإلى جانب الكتابة توجد الصور والرسوم والخرائط الدقيقة، وغيرها

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يراعي في مادته وعرضه مطالب نمو المتعلمين في الصف الذي ألف لهم ويحرص على أن يكون على مستوى نضجهم.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يعمل أن يستغل ميول المتعلمين وحاجاتهم وخبراتهم في تشويقهم إلى مادته وجعلهم ايجابين في تحصيلها.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يأتي تنظيمه وعرضه وفق أحدث نظريات التعلم مع وضوح الهدف.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يراعى في عرضه وفي أسئلته ومطالبه الفروق الفردية بين المتعلمين

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي ينمي في المتعلمين القدرة على القراءة ويحفزهم على مزيد الاطلاع في المادة التي يتناولها.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يراعى في محتواه ظروف الزمان وامكانيات المكان الذي يستخدم فيه مراعاة مستوى المعلم ومعدات وأدوات المدرسة ومستوى القراءة عند التلاميذ.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يحاول أن تتبع أحدث الأساليب في فن التحرير.

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يخضع في اخراجه الطباعي لأحسن ما وصلت إليه تكنولوجيا الطباعة ووفق الأصول التي يراها المختصون في الفن المطبعي لكتب الأطفال، وذلك حتى يتوافر لهذه الكتب

شرط التشويق للمتعلمين، وتشجيعهم على القراءة في سهولة وانسياب، مع المحافظة على بصرهم .

– الكتاب المدرسي الجيد هو الذي يكون نتاج التجريب العلمي في مادته وتنظيمه وطريقة عرضه

–الكتاب المدرسي الجيد هو الذي تكون فلسفته وعرضه واخراجه ومعيناته مغرية للمعلم والمتعلم على استخدامه استخداما فعالا مثمرا في الموقف التعليمي

هذه معايير الحكم على الكتاب المدرسي كما يستدل عليها من الأسس الاجتماعية والفلسفية والنفسية للتربية بوجه عام ولتأليف الكتاب المدرسي بوجه خاص. وعملية تحويل هذه المعايير إلى وحدات قياس دقيقه مقننة تحتاج إلى أبحاث وتجارب تربوية متعددة كما تحتاج إلى اجماع فقهاء، تربية عليها. وقد سبق أن أشرنا، عند الحديث، من الجو العلمي كعامل محدد لجودة الكتاب المدرسي، إلى فقر الميدان عندنا في هذه الأبحاث والتجارب التربوية، وإلى عدم وجود مراكز بحث الكتب المدرسية بحثا علميا تجريبيا يقدم لنا اجابات على إشكاليات على نحو:

– ما الوحدات السلوكية التي تتضمنها أهداف التعليم؟ وما نصيب كل صف دراسي من هذه الوحدات؟ وماذا يمكن الكتاب المدرسي أن يحققه منها؟

– ما المستوى اللغوي لمتعلمي الصف الخامس الابتدائي مثلا؟ وما معجم الألفاظ لمتعلمي المدرسة الابتدائية؟

– ما تنظيم المادة المناسب لتلاميذ الصفوف الأخيرة في المرحلة الابتدائية أو المرحلة المتوسطة؟

– ما طول الجملة الذي يناسب متعلما في صف من الصفوف الدراسية ما حجم حرف الطباعة الذي يناسب متعلما في سن الثامنة مثلا؟

– ما اللون أو الألوان التي يفضلها متعلم صف ما لغلاف كتابه؟ وما العلاقة بين طول السطر

وسرعة القراءة، وما الطول المناسب لتوفير شرط السرعة؟

– كيف ينمي الكتاب المدرسي اتجاهات لدى المتعلمين؟

– ما الحد الأدنى من المال الذي ينبغي أن ينفق على وحدة الكتاب المدرسي فيحقق من بعده شرط الجودة؟ وما الشروط التي ينبغي مراعاتها في تحرير الكتاب؟ وكيف يمكن الوصول إليها؟

وحتى يتوافر للقائمين على فحص الكتب اجابات على هذه الأسئلة وغيرها مما يتصل بمعايير التقويم سيظل تقدير الكتاب المدرسي ذاتيا غير دقيق. غير أن هذا لا يعنى أن تظل أساليب تقدير الكتاب التقليدية معمولا بها.

جوانب الكتاب التي يشملها التقدير والحكم:

وكيفما تكون معايير الحكم على الكتاب المدرسي من حيث دقتها وتفصيلها والاجماع عليها، فإنها ينبغي أن تطبق على جميع جوانب الكتاب ليكون الحكم شاملا. وهذه الجوانب سبق تحديدها عند مناقشة علمية تحليل الكتاب المدرسي التي هي مقدمة للتقدير ومؤدية إليه، وهي على التذكرة كما يلي:

1- شخصية المؤلف ووجهة نظره

2- طبيعة محتوى الكتاب وتنظيمه ومنهجه.

3- معينات استخدام الكتاب المدرسي

4- شكل الكتاب واخراجه الطباعي.

ومن الطبيعي أن تتفاوت الأوزان التي تعطى لكل جانب من هذه الجوانب عند التقدير تسلط القديم على بعض المقدرين، سواء أكان هذا القديم كتابا سابقا يقيس عليه أحكامه، أو وجهة نظر فلسفية لا تتفق وروح العصر، أو نظرية تربوية عفا عليها الزمان. أن التقدير خطوة من خطوات التقويم، والتقويم عملية تطوير وتحسين، لا ثبات وجمود على القديم.

كذلك ينبغي أن تؤكد هنا ضرورة اشتراك أكثر من فرد واحد في عملية التقدير.

ان كل كتاب يقدمه المؤلف مجهود، حتى ولو كان بسيطا. ومن حق المؤلف أن يرى تحليل الآخرين وتقديرهم لهذا المجهود، حتى لو جاء متواضعا أو قاسيا. والتحليل والتقدير عمليتان غير مقصودتين لذاتهما، وإنما هما حلقتان في سلسلة التقويم التي يقصد بها الوصول بالكتب وبعملية تأليفها إلى أحسن ما يمكن أن يكون. ووقوف المؤلف على آراء الغير وأحكامهم في كتابه عامل في تحسين كتابته ومزيد معرفته لنفسه.

مراجعة الكتاب واخراجه

وعلى ضوء ما يسفر عنه فحص الكتاب، وتجريبه إذا أمكن، من توصيات ومقترحات، يطلب

إلى المؤلف أو المؤلفين الذين وقع على كتابهم الاختيار مراجعته وتعديله، حتى يصبح معدا للطبع في صورته النهائية.

وتوفيرا للوقت، واختصارا للإجراءات، تتشكل هيئات للتحرير، تتولى هذا العبء عن المؤلف أو المؤلفين، وخاصة إذا كانت التعديلات هينة طفيفة، لا تحتاج إلى مراسلات وعناء العطاء والأخذ ولا تتصل بالفكرة والرأي وفي هذه الحالة يكتفي بأن يحاط المؤلف أو المؤلفون علما بما تم اجراؤه من تعديل، وذلك من قبيل المجاملة والموافقة عليه.

وإلى قد يبدو للبعض أن عملية تقويم الكتاب قد انتهت بفحصه ومراجعته وتعديله وتقريره على صف دراسي، وأن المشكلة بعد هذا تقتصر على الجانب الفني الطباعي والاداري؛ فالكتاب ينتقل إلى ادارة التوريدات بالوزارة لتتبع سيره إلى المطبعة وخروجه منها إلى مخازنها ثم إلى مخازن المناطق، حتى يصل في النهاية إلى المدارس حيث المدرسون والتلاميذ. وعندئذ تهدأ النفوس ويستقر الكتاب شكلا وموضوعا واستخداما. وإلى أن يعاد النظر في المنهج فيشمله تغيير جوهري يظل الكتاب دون تعديل أو مع تعديلات طفيفة.

أما أن الكتاب المدرسي يدخل بعد فحصه وتقريره مرحلة جديدة تتصل. بفنية طباعته وادارة نشره وتوزيعه، فهذا ما لا جدال فيه. انما الجدال فيما يجرى داخل حدود فنية طباعته. وادارة نشره من إجراءات وأحكام، ثم فيما ينبغي أن يعقب نشره من اجراءات فنية تتصل بتربوية الكتاب، وتعتبر جزءا رئيسا من عملية تقويمه وطورا أساسا في تحسينه.

أن طبيعة عملية الاخراج الطباعي للكتاب المدرسي، وسيطرة الآلة عليها، أمر باهظ التكاليف تستوجب اتخاذ بعض الإجراءات التحفظية قبل الشروع في طباعة الكتاب واخراجه. وهذه الإجراءات التحفظية تتمثل في إلزام دور الطباعة بمراعاة شروط معينة عند طبع الكتاب تتعلق بلون الورق ووزنه وحجم البنط وشكل الغلاف إلى آخر ما نعرفه من العناصر الفنية في الطباعة ومن المفضل أن يحاط المصحح علما بهذه الشروط ليراقب تنفيذها عند مراجعته تجارب الطبع. وهنا نعود إلى أن هذه الشروط ينبغي أن تقوم على أساس علمي تجريبي تربوي لا على أساس العرف والتقاليد المتبعة أو على أساس الاجتهاد الشخصي والعفوية في التقدير.

واتخاذ هذه الاجراءات التحفظية من جانب السلطات الممولة والمسئولة عن الكتب المدرسية، ومراعاتها من جانب دور الطباعة والمصححين خطوتان هامتان لسلامة الإخراج الطباعي، وبدونهما يصبح تحليل الكتاب وتقديره من ناحية هذا الاخراج بعد الطبع عبثا ودون طائل، لأن الكتاب بعد طبعه

يأخذ شكلا ثابتا لا يمكن تعديله إلا في الطبعة التالية. ومن ثم فان تحليل الكتاب وتقديره من زاوية الاخراج الطباعي بعد تسليمه للطباعة لا يعد أن يكون مجرد التأكد من أن دار الطباعة قد أوفت بما ألزمت به، فتجزى خيرا أو شرا على عملها، وينبه إلى ما وقع من خطأ في طباعة الكتاب، فيستوفي شرطه في الطبعات التالية. ويكون هذا كله من قبيل متابعة عملية الاخراج الطباعي للكتاب.

أما ما تبقى من عمليات ادارية تتصل بنشر الكتاب وتوزيعه فهذه تحتاج إلى دراسة وتحليل ومراجعة مستمرة ضمانا لوصول الكتاب إلى المدرس والتلميذ في أحسن صورة، وبأيسر سبيل وأسرعه.

10-متابعة الكتاب المدرسي

غير أن وصول الكتاب مطبوعا في أحسن صورة وبأحسن طريقة إلى أيدي المدرسين والتلاميذ يعتبر في الواقع بداية عملية بنية تربوية جديدة، هي المتابعة. وهذه العملية الجديدة حلقة أساسية، في تقويم الكتاب المدرسي كثير وبدونها تضيع على العمليات السابقة في التقويم كثير مزاياها، وتصبح مقطوعة الصلة بواقع الكتاب ٠من حيث اجرائه، وتعدو فرضا من سلطات عليا دون أن تقابله استجابة من جانب هذه السلطات لفعل هذا الفرض بالعاملين على المستوى الاجرائي هذا، مثلا من فقدان تلك العمليات لمرآة واقعية ترى فيه شكلها وحقيقتها.

أن المتابعة عملية جس نبض سير الكتاب في الواقع، والاطمئنان إلى أنه يحقق بالفعل ما هو متوقع منه بالنظر، والتأكد من أن حكم مجيزيه من الخبراء يطابق حكم المستهلكين لمادته، من معلمين ومتعلمين ثم ان المتابعة بعد ذلك عملية تعرف على ما عساه يظهر في الكتاب من نواحي نقص وقوة جديدة نتيجة ما بعد من ظروف وعوامل في الميدان، ونتيجة مزيد من الملاحظة الدقيقة على المستوى الاجرائي، حتى يمكن تدارك النقص . وبهذا تكون المتابعة أداة تعليم أكثر فاعلية.

الواقع أن متابعة الكتاب المدرسي عملية ضرورية، بعد التحليل والتقدم المراجعة، اذ تمليها اعتبارات تتصل بطبيعة الكتاب وتطبيقه وتجربه وهذه الاعتبارات يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: أن الكتاب المدرسي بحكم العمليات المتعددة التي يمر بها في التأليف والاختيار والطباعة والتوزيع يقطع مرحلة زمنية طويلة بين تأليفه واستخدام المعلم والمتعلم له. وكثيرا ما يترتب على البعد الزمنى بين تأليف الكتاب المدرسي واستخدامه عدم ملاءمة بعض موضوعاته من حيث الجدة والعرض والتكييف والتطبيق الاجتماعي لها، وذلك في عصر تزداد فيه سرعة التغير.

لهذا كان لابد من عملية متابعة للتعرف على كل جديد في المادة والطريقة وأحوال المجتمع، وتحديد نواحي القصور والتخلف في الكتاب تسعا لذلك، واتخاذ التدابير والاجراءات التي من شأنها سد الفراغ بين تطورات المجتمع والمادة والطريقة وبين ما يوجد في الكتاب.

ومتابعة الكتاب على هذا النحو مسئولية أكثر من فرد واحد وجهاز واحد وجهة واحدة على مستوى واحد. انها في الواقع مسئولية المعلم، والناظر، والمفتش، والمسئولين عن المناهج والكتب والتدريب. وهي مسئولية يتطلب تحملها عمل تنظيمات على شتى المستويات الادارية واتخاذ تدابير تيسر الاتصال بين هذه التنظيمات من ناحية وتضع تحت يدها الأدوات اللازمة للمتابعة في هذا الاتجاه ولسد نواحي القصور في الكتاب من ناحية أخرى.

فالمعلم بمفرده، إذا كان ضليعا في مادته، متتبعا تطورات مجتمعه ناميا في مهنته، يستطيع أن يقوم بدور فعال في تجديد الكتاب من حيث المادة والطريقة والتطبيقات الاجتماعية، وبالاشتراك مع زملائه المعلمين في المادة والمدرس الأول، يستطيع أن يكون عضوا فعالا في لجنة أو سلسلة من الاجتماعات المنظمة لدراسة الكتاب المدرسي " إن الكتاب هو مساعد المعلم والتلميذ معا. ولكن يجب ألا يقوم مقام المعلم بأي صورة من الصور. كما يجب ألا يخضع له المعلم خضوعا أعمى، بل أن يختار منه ما يناسب المنهج وعقلية التلاميذ. ويجد بالمؤلفين أن يضعوا هدفا توجيهيا لكتبهم يكون نقطة انطلاق لمعظم المواد التي يوسعونها" التربية العملية التطبيقية (عوض، 2008، صفحة 69)

ثانيا: أن الكتاب المدرسي باستخدامه تنكشف فيه نقط قوة وفقط ضعف، ربما لم تكن ظاهرة أثناء

فحصه على المستوى المركزي، أو أنه لا يسهل اكتشافها إلا عن طريق العاملين به فعلا في الميدان. ثم أن استخدام الكتاب على نطاق ميداني واسع، ربما يشمل آلاف المدارس قد يكشف عن آراء مختلفة عنه باختلاف المدارس وظروفها، واختلاف المدرسين واعدادهم ونموهم في مهنتهم واختلاف المتعلمين وقدراتهم.

ولما كان المعيار النهائي لجودة الكتاب المدرسي هو استخدامه بأحسن درجة ممكنة، في مكان وزمان معينين، وجب التعرف على أحوال الكتاب ومجراه وكيفية سيره، وعلى العوامل والظروف التي تفعل فعلها فيه فتضعف من قوته أو تزيدها، وعلى ما يتكشف فيه من نقط قوة أو ضعف كما يراها المستفيدون تربويا منه، في كل مدرسة وفي كل بيئة وفي كل قسم وفي كل منطقة، تمهيدا لاتخاذ التدابير لزيادة حسن استخدامه.

ثالثا: أن الكتاب المدرسي يندر أن يجرب عندنا قبل طبعه واقراره يمكن أن يكون فرصة لهذا التجريب العلمي على سبيل المتابعة. وما أحوجنا إلى مثل هذا التجريب ليستقيم الكتاب في يد المدرس والتلميذ. ما دام استخدامه سيمتد إلى أكثر من عام.

أن بعض الكتب المدرسية، بعد إنفاق الجهد والمال في تأليفها وفحصها وطبعها وتوزيعها، يهملها التلاميذ كلية أو بدرجات متفاوتة. أو على الأقل يجدون مشقة في استخدامها. ولو بحثنا الأسباب لوجدناه كثيرة متعددة داخل الكتاب وخارجه. وكل هذا يحتاج إلى الوقوف عليه عن طريق الأدلة والشواهد العلمية الدقيقة. ومن هنا يكون التجريب. خذ مثلا مستوى الكتاب اللغوي، والكلمات الصعبة الواردة فيه والأفكار

أو المصطلحات الغامضة. التي تحمها بعض عباراته، وطول العبارات والفقرات، وشكل الحروف، وحجمها واتصال مادته بميول التلاميذ وحاجاتهم (د.أبو الفتوح رضوان د. محمد الهادي عفيفي.د. عبد الحميد السيد عبد الله. د. محمد أحمد الغنام.، 1962، صفحة 56). كل هذا يحتاج إلى تجريب الكتاب المدرسي، حتى يسهل استخدامه ويحسن في الأعوام المقبلة. وقيام الكتب المدرسية على أساس علمي صحيح متوقف على هذا التجريب.

ويتضح من تحديدنا لمفهوم المتابعة والاعتبارات التي تجعلها ضرورة أن متابعة الكتاب المدرسي وظيفة وليست مجرد فعل رتيب مستمر من جانب واحد، ثم هي استقصاء ودراسة علمية، وليست عملية الوصول إلى أحكام جزافية كيفما اتفق دون تجريب على مادة الكتاب نفسه

والمتابعة من أجل هذا عملية يتقاسمها ويشترك فيها المستهلكون للكتاب المدرسي والمشرفون عليه والمقررون له. غير أن التقاسم والاشتراك في العملية ينبغي ألا يترك بدوره للصدفة والارتجال، وإنما ينبغي أن يخضع لتنظيمات تبدأ من من معلمي المادة في الصف الواحد، ثم في المدرسة الواحدة، ثم عدد من المدارس المجاورة، إلى أن تنتهي إلى المنطقة، ليستمر من جديد على مستوى مجموعة من المناطق. كما ينبغي أن تتحدد داخل هذه التنظيمات مسئوليات كل فرد وكل جماعة من الناس، وتتنسق الأعمال فيما بينها. كل هذا مع توافر الأدوات والامكانات وتيسير الوقت لدراسة الكتاب المدرسي والتفكير في وسائل تحسينه بأسلوب علمي.

تحسين الكتاب المدرسي

لا شك أن تحليل للكتاب المدرسي والحكم عليه، وتعديل لبعض أجزائه ومراجعته، ثم متابعة سيره على المستوى الإجرائي في ضوء التطورات الاجتماعية والتربوية والعلمية كل هذا مسبوقا بتأليفه تأليفا رصينا على يد صفوة من المختصين – يؤدى إلى تحسين الكتاب والنهوض بمستواه، بل إنه في ذاته تحسين للكتاب ونهوض بمستواه.

غير أن عملية تحسين الكتاب المدرسي في كل الأحوال ينبغي النظر إليها دوما، لا على أنها مجرد عملية حذف واضافة وتعديل وتجديد في نظرية الكتاب المدرسي ومادته وتنظيمه وطريقة عرضه والمعينات على استخدامه، إنما على أنها عملية اجتماعية تنصب على المادة البشرية المتصلة بالكتاب، فتتناول بالتغيير والتبديل مفاهيمهم، وفلسفاتهم، ووجهات نظرهم، واتجاهاتهم وقيمهم نحو الكتاب المدرسي، كما تتناول أساليب عملهم في المدرسة واستخدامهم الكتاب.

وأخذ عملية تحسين الكتاب المدرسي هذا المأخذ الجديد يتطلب من المؤسسات المعنية بالكتاب المدرسي والمشرفة عليه اعادة النظر في وظائفها ومسئولياتها بحيث تتضمن أعمالا من قبيل:

–اعداد مطبوعات عن الكتاب المدرسي تعرف المؤلفين والمشتغلين بالتعليم بالاتجاهات الحديثة بشأنه.

– إصدار كتيبات مبسطة تشرح وجهات النظر والنظريات التي تقوم عليها بعض الكتب المدرسية المتداولة، ليفيد منها الآباء والمهتمون بشئون التعليم من المواطنين.

– –عقد مؤتمرات وحلقات دراسية عن الكتب المدرسية يشترك فيها المؤلفون والناشرون والمشتغلون في الميدان، وذلك لتبادل وجهات النظر وتقريب الشقة بين العناصر المهتمة بالكتاب.

– توفير الأدوات اللازمة للتأليف على أسس علمية، مثل معاجم الأطفال وحاجات المتعلمين ومطالب نموهم في المراحل المختلفة وغير ذلك مما يسهل التطويع السيكلوجي لمادة الكتاب المدرسي

– تشجيع التجريب في جوانب الكتاب المدرسي على شتى المستويات ونشر نتائج هذا التجريب ليفيد منها المعنيون بأمر الكتاب.

الخاتمة:

إن الأبحاث الحديثة في المناهج وما يتصل بها من كتب مدرسية توصى بوجوب النظر إلى تحسين الكتاب على أنه عملية اجتماعية. لهذا وجب تحويل مركز الاهتمام في عملية تحسين الكتاب المدرسي من أوراق هذا الكتاب ومحتواها إلى الانسان الذين يؤلف هذا الكتاب، ويحلله، ويحكم على صلاحيته، ويقرره ويستخدمه معينا لهم على التعليم والتعلم، ويتابع سيره ومجراه. وتحويل مركز الاهتمام على هذا النحو، لا يغمط الكتاب أو محتواه حقه، وإنما يخرج به من السكونية إلى صورته الحركية التي تفعل في الناس وتنفعل في الاتجاه المرغوب فيه، كما تخرج بتحسين الكتاب من مجرد عملية مادية آلية إلى عملية انسانية تربوية يدخل فيها المؤلف والفاحص والطابع والناشر والموزع والمدرس والتلميذ وولى الامر والمفتش والمتابع، كل هذا من أجل جعل الكتاب المدرسي أداة تعليمية فعالة.

المراجع:

– د.أبو الفتوح رضوان د. محمد الهادي عفيفي.د. عبد الحميد السيد عبد الله. د. محمد أحمد الغنام. (1962). الكتاب المدرسي فلسفته تاريخه أسسه تقويمه استخدامه، العربية المصرية للكتاب.

- أحمد أنور عمر. (2005). الكتاب المدرسي: تصميمه وتقويمه. (ط2)، مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر.
- أحمد عوض. (2008). التربية العملية التطبيقية. (ط1)، مؤسسة الشرق الاوسط للطباعة والنشر
- صالحة سنقر. (1982). المناهج التربوية. (ط1)، مؤسسة الوحدة جامعة دمشق الجمهورية السورية
- معروف رزيق، (2016). كيف تبقي درست دراسة عملية واقعية في التربية الخاصة وأصول التدريس قي المدارس الابتدائية. دار التربية الحديثة ط2. الجمهورية العربية السورية